تقرير حالة أطفال العالم لعام 2021
" تعزيز الصحة النفسية للأطفال وحمايتها ورعايتها"

عرض: د. خالد صلاح حنفي محمود *

حذرت اليونيسف في تقريرها الصادر في 5 أكتوبر 2021 بعنوان: "حالة الأطفال في العالم 2021: تعزيز الصحة النفسية للأطفال وحمايتها ورعايتها" والصادر في نيويورك، من أن الأطفال والشباب قد يشعرون بتأثير كوفيد – 19 على صحتهم النفسية ورفاههم لسنوات عديدة قادمة. فوفقًا لأحدث البيانات المتاحة، على مستوى العالم، تأثر طفل واحد على الأقل من كل 7 أطفال بشكل مباشر بعمليات الإغلاق، في حين عانى أكثر من 1,6 مليار طفل من فقدان التعليم بعض الشيء.

* أستاذ أصول التربية المساعد – كلية التربية – جامعة الإسكندرية – مصر.

إن تعطيل روتين الحياة اليومي المعتاد والتعليم والترفيه؛ وكذلك القلق حول دخل الأسرة وصحتها، يجعل الكثير من الشباب يشعرون بالخوف، والغضب، والقلق على مستقبلهم. فعلى سبيل المثال عانى الأطفال في لبنان من تأثير كوڤيد -19 إضافةً للآثار المترتبة على الأزمات الأخرى، بما في ذلك الانهيار الاقتصادي وانفجار مرفأ بيروت.

الفصل السادس: إطار العمل، ويتناول هذا الفصل مُتطلَّبات الحفاظ على الصحة العقلية للطفل عالميًا، وضرورة التواصل، وتنسيق الجهود، والقيام بالخطوات المطلوبة.

ووفقًا لأحدث التقديرات المتوافرة، يُقدَّر أن أكثر من 1 من كل 7 يافعين من الفئة العمرية 10 – 19 سنة في العالم مصابون باضطراب نفسي تم تشخيصه. ويُتوفَّى تقريبا 46,000 يافع ويافعة في العالم جرَّاء الانتحار سنويًا، وهو يشكل واحدًا من أكبر خمسة أسباب للوفاة في صفوف هذه الفئة العمرية. وفي الوقت نفسه، ثمَّة فجوات واسعة ومستمرة بين الاحتياجات والتمويل في مجال الصحة النفسية. وقد وجد التقرير أن قرابة 2 بالمئة من الميزانيات الحكومية الصحية في العالم يُخصص للإنفاق على الصحة النفسية.

فقد كشفت جائحة كوڤيد – 19 عن مدى خطورة أزمة الصحة النفسية على الأطفال والشباب الأكثر تهميشًا، وأن علينا إدماج تدخُّلات الصحة النفسية والدعم النفسي في قطاعات الصحة والتعليم والحماية الاجتماعية، لتلبية احتياجات الصحة النفسية المتنوعة والمُركَّبة للأطفال واليافعين؛ للتخفيف من حدَّة الضغوط النفسية والصحية الواقعة عليهم.

ويُعدُّ هذا التقرير أكبر دراسة تُعدُّها اليونيسف حول الصحة النفسية للأطفال واليافعين ومقدمي الرعاية في القرن الحادي والعشرين، وتحليل مستوى تحمُّل الأطفال واليافعين للظروف الراهنة المترتبة على جائحة كوڤيد -19، والأعباء المتعلقة بالصحة النفسية في ظل غياب أي استثمارات كبيرة لمعالجتها. ويقع التقرير في عدد (259) صفحة، وقد صدر عن منظمة اليونيسف بنيويورك في أكتوبر 2021، ويتكون من مقدمة، وستة فصول وذلك على النحو الآتي:

- **مقدمة للكتاب**: وتتناول تأثير القيادة في الصحة العقلية، ويتناول أهمية وجود إدارة لمواجهة مشكلات الصحة العقلية للطفل في ظل تأثيرات جائحة كورونا، وما أدت إليه من ضغوط وصدمات للأطفال والمراهقين أثَّرت سلبا على صحتهم النفسية والعقلية.
- **الفصل الأول: الصحة العقلية**، ويتناول طبيعة الصحة العقلية، وخصائصها، وأبرز الإحصاءات والأرقام المرتبطة بها، والتكلفة المطلوبة للحفاظ عليها.

- **الفصل الثاني: الأساس**، ويتناول هذا الفصل نموَّ الطفل، والضغوط والأزمات التي يتعرض لها، والمخاطر والوقاية منها.
- **الفصل الثالث: المخاطر والوقاية منها**، ويتناول هذا الفصل العوامل التي تفيد في المواجهة، والعوامل التي قد تؤدي إلحاق الأذى بصحة الطفل العقلية.
- **الفصل الرابع: العالم من منظورٍ واسع**، وعرض لأبرز المشكلات الحالية التي تؤثر على صحة الطفل، وهي: الفقر، التمييز، الأزمات الإنسانية، وباء كورونا، وتأثيرات التكنولوچيا الرقمية على صحة الطفل، وكيفية التأقلم معها.
- **الفصل الخامس: ما الذي يتوجب عمله**، ويتناول هذا الفصل الجهود والمبادرات العالمية الحالية، والبيانات والأرقام الراهنة وتحليلها.

الصحة النفسية للأطفال أثناء جائحة كوفيد -19

لقد تسبَّبتِ الجائحة بضرر كبير، فوقفًا لنتائج مبكرة من استقصاء عالمي أجرته اليونيسف ومعهد «غالوب» الدولي شمل أطفالًا وراشدين في 21 بلدًا – ويرد استعراض لهذا الاستقصاء في تقرير حالة أطفال العالم لعام 2021 – أفاد ما معدله 1 من كل 5 يافعين من الفئة العمرية 15 – 24 سنة ممن شاركوا في الاستقصاء، بأنهم عادةً ما يشعرون بالاكتئاب أو أن لديهم اهتماما قليلًا بالقيام بأنشطة.

وإذ توشك جائحة كوڤيد –19 على دخول سنتها الثالثة، تستمر وطأتها الثقيلة على الصحة والعافية النفسيتين للأطفال واليافعين. فوفقًا لأحدث البيانات المتوافرة من اليونيسف، تأثَّر ما لا يقلُّ عن 1 من كل 7 أطفال في العالم تأثرًا مباشرًا بالإغلاقات العامة، فيما عانى أكثر من 1,6 بليون طفل من قدرٍ ما من خسارة التعليم. وأدى تعطيل الروتين اليومي والتعليم والترفيه، إلى جانب الانشغال بشأن دخل الأسرة وصحتها، إلى دفع العديد من اليافعين إلى الشعور بالخوف والغضب وإلى الانشغال بشأن مستقبلهم. فمثلًا، تناول تقرير حالة أطفال العالم استقصاءً جرى عبر شبكة الإنترنت في الصين في بدايات عام 2020، وهو يشير إلى أن قرابة ثلث المجيبين أفادوا بأنهم يشعرون بالخوف أو القلق.

الكلفة على المجتمع

من الممكن أن تؤدي الاضطرابات النفسية التي يتم تشخيصها إلى أضرار كبيرة على صحة

الأطفال واليافعين وتعليمهم والنتائج التي يحققونها في الحياة وقدرتهم على كسب الدخل، ومن بين هذه الاضطرابات نقص الانتباه وفرط النشاط، والقلق، وطيف التوحُّد، والاضطراب الثنائي القطب، واضطرابات السلوك، والاكتئاب، واضطرابات الأكل، والإعاقات الذهنية، والفصام.

وبينما يتعذر حساب حجم التأثير على حياة الأطفال، فقد وجد تحليل جديد أجرته كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية ويستشهد به التقرير، بأن المساهمة المهدورة في الاقتصادات والناجمة عن الاضطرابات النفسية التي تؤدي إلى الإعاقة أو الوفاة بين اليافعين تُقدَّر بـ 390 بليون دولار سنويًا. ولذلك لم يكن غريبًا ما أعلنته اليونيسف عن "العمل مع الحكومات، ومنها الحكومة الأردنية والشركاء؛ لضمان خلق بيئة آمنة وملائمة في المدارس والبيوت وفي المجتمعات أيضًا، وإكساب الأطفال واليافعين والشباب مهاراتٍ تُمكِّنهم من التغلب على المشاكل التي تواجههم وتؤثر على الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي."

عوامل الحماية

يشير التقرير إلى أن مزيجًا من العوامل المتصلة بالجينات والخبرات والبيئة، تعمل منذ الأيام المبكرة في الحياة على تشكيل الصحة النفسية للأطفال وتؤثر عليها على امتداد حياتهم، ومن بين هذه العوامل التنشئة، والتعليم المدرسي، ونوعية العلاقات، والتعرُّض للعنف أو الإساءات، والتمييز، والفقر، والأزمات الإنسانية، والطوارئ الصحية من قَبيل كوفيد -19.

وبينما يمكن لعوامل الحماية مثل وجود مقدمي الرعاية المُحبِّين، والبيئات المدرسية الآمنة، والعلاقات الإيجابية مع الأقران، أن تساعد على الحدِّ من خطر حدوث الاضطرابات النفسية، فقد حذَّر التقرير من عوائق كبيرة، بما فيها الوصم ونقص التمويل، تمنع العديد من الأطفال من التمتُّع بصحة نفسية إيجابية أو الحصول على ما يحتاجونه من دعم.

ما الذي نستفيده من هذا التقرير في عالمنا العربي؟

يُعدُّ تقرير اليونيسف حالة الأطفال 2021 بمثابة ناقوس الخطر، الذي يلفت الانتباه إلى الآثار النفسية لفيروس كورونا خصوصًا وقد مضى ثلاث سنوات على اكتشاف الفيروس، والتوقعات باستمرار العالم في مواجهته، ومواجهة مُتحوِّراته المختلفة، مع ما يسببه الفيروس من ازدياد القلق والذعر بين فئات البشر، وما أدت إليه إجراءات غلق المؤسسات التعليمية، وأماكن الترفيه، وغلق الحدود، وتقييد السفر، والتنقل؛ كل ذلك أدى إلى تغيير نمط حياة البشر، وتغيُّر

نمط روتين حياتهم؛ كل ذلك أدى إلى ازدياد التأثيرات السلبية لوباء كورونا؛ حتى إن التقارير العالمية ترصد ازدياد حالات العنف الأُسَري، والطلاق، وازدياد أعداد المترددين على عيادات الأطباء النفسيين، وانتشار أمراض الاكتئاب، كما بدأ البعض يُصابون بالهَوَس؛ وكل ذلك أثَّر بصورة سلبية على الأطفال عالميًا وعربيًا. وإذا أضفنا إلى ذلك ما تعيشه بعض دول المنطقة من حالات الصراع والحرب، وما تعانيه دول أخرى من ارتفاع معدلات الفقر والبطالة، وما يترتب عليها من مشكلات كعِمَالة الأطفال، وتسرُّب الأطفال من التعليم، وانتشار ظاهرة أطفال الشوارع، وما يتعرض له الأطفال من تجنيد في تلك الصراعات والحروب؛ كل ذلك يمثل مشكلة كبرى تستوجب من الحكومات بذل كل جهد لمواجهة تلك الآثار، والإفادة من جهود المنظمات الدولية، والدراسات العالمية.

يدعو تقرير حالة أطفال العالم لعام 2021 الحكومات والشركاء من القطاعين: العام والخاص، إلى الالتزام بتعزيز الصحة النفسية لجميع الأطفال واليافعين ومقدمي الرعاية، وأن يتواصلوا ويتصرفوا بشأنها، وإلى حماية المحتاجين للمساعدة، ورعاية الأكثر هشاشةً بينهم، بما في ذلك:

- الاستثمار العاجل في الصحة النفسية للأطفال واليافعين في جميع القطاعات، وليس فقط في قطاع الصحة؛ لدعم النهج القائم على المجتمع بأكمله في مجالات الوقاية والتعزيز والرعاية.

- إدماج وتوسيع برامج العلاج النفسي والتدخل على امتداد قطاعات الصحة والتعليم والحماية الاجتماعية، بما في ذلك برامج تنشئة الأطفال التي تشجِّع الرعاية الحانية والمستجيبة، ودعم الصحة النفسية للوالدين ومقدمي الرعاية؛ وضمان أن المدارس تدعم الصحة النفسية من خلال الخدمات الجيدة والعلاقات الإيجابية.

- الإفادة من وسائل الإعلام في كسر الصمت المحيط بالاضطرابات النفسية، من خلال التصدِّي للوَصْم، والجهل بكيفية التعامل مع الأمراض النفسية والعقلية، وتعزيز فهمٍ أفضل للصحة النفسية والتعامل بجدِّية مع تجارب الأطفال واليافعين.